الفصل الثاني

قدماء المصريين وعلم الجغرافيا

علم الجغرافيا من أقدم العلوم فمنشؤه يقترن تمام الاقتران بتاريخ الإنسان الذي يحتاج إلى الطرق ومعرفة مصادر الغذاء والماء والمناخ الحسن وغيرها.

يذكر شريف محمد شريف في كتابه (تطور الفكر الجغرافي) أن الحضارة المصرية القديمة قد ظهرت منذ عصر ماقبل الأسرات وتطورت في التاريخ وذلك في زمن يمكن وضعه في فترة ليست قبل خمسة وثلاثين قرنا قبل الميلاد وأن كثيرا من المدونات المنتشرة في هذه الفترة الطويلة من التاريخ المصري القديم يختص بالعلاقات الحربية والسياسية والتجارية ويبدو أنها من الكثرة والكفاية لدرجة أنها تعطي صورة واضحة لأفق الفكر الجغرافي عند قدماء المصريين.

لهذا بذل قدماء المصريين جهداً عظيماً لمعرفة منابع نهر النيل فقاموا برحلات نهرية وبرية كثيرة كما أن لهم صلة تجارية وثيقة مع أقطار حوض البحر الأبيض المتوسط ولقد حاول قدماء المصريين بطريقة فنية وعلمية أن يربطوا البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر عن طريق نهر النيل، وهذه الأفكار كلها توحي بحدس جغرافي.

كما وأن لقدماء المصريين أيضا اتصالا مباشرا في شمال أفريقيا وغرب آسيا لأن مصر كانت مركزا تجاريا، والجدير بالذكر أن السفن المصرية أبحرت من البحر الأحمر ووصلت إلى المحيط الهندي.

وقد تمكن قادة مصر أمثال تحتمس الثالث ورمسيس الثاني دحر الغزاة لأرض مصر الخضراء من ذلك أسس قدماء المصريين نظرياتهم الجغرافية.

تفنن قدماء المصريين في رسم الخرائط فقد رسموا خريطة لبحيرة موريس وترعتها والمدينة الواقعة على ساحلها كما عملوا خريطة للقطر المصري والبلدان المتاخمة من أقطار أفريقية.

يذكر عبدالمنعم ماجد في كتابه (تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى) أن أول من قام برسم الخرائط هم المصريون القدماء حيث إن النصوص التاريخية وبعض النقوش على جدران المعابد تدل على أن المصريين القدماء رسموا خرائط الأرض لمصر ومايجاورها.

وظهر واضحا عند قدماء المصريين حب الفضول وذلك في التعرف على الجبال والأنهار والبحار ومصادر الغذاء من حيوان ونبات لذا صار عندهم رغبة شديدة لتعبيد الطرق لكي يتمكنوا من التنقل من مكان إلى آخر.

نعم تكونت عند سكان مصر الرغبة الشديدة في الاكتشافات العلمية ولكنهم وجدوا شيئا من الصعوبات في بادىء الأمر من الحيوانات الضارية المفترسة وقسوة الطبيعة، لذا لم يتمكنوا من الدخول إلى وسط أفريقية.

بدأ قدماء المصريين بعمل اتصالات تجارية قوية مع البلدان المجاورة لكي يستفيدوا من بيع المحصولات الزراعية واخيوانية فاضطروا أن يفتحوا المسالك بينهم وبهذا تحسن وضع مصر على كوكب الأرض.

لقد نمت المعرفة الجغرافية عند قدماء المصريين فسيطرت الملاحة المصرية على كل من شمال إفريقية وشرقي البحر الأبيض المتوسط والساحل الأفريقي للبحر الأحمر، كما وصل بحارة قدماء المصريين بسهولة إلى غرب آسيا.

ومما يؤخذ على قدماء المصريين أنهم كانوا يعتقدون أن كوكب الأرض على شكل مستطيل وأن أطول بعد مابين الشمال والجنوب وهذا افتراض غير صحيح بل إن كوكب الأرض كروي وأثبت ذلك بطريقة علمية علماء العرب والمسلمين في علمي الجغرافية والفلك.

حسب قدماء المصريين سنتهم الشمسية بـ $٣٦٥\frac{١}{٤}$ يوما والشهر ثلاثون يوما لذا السنة تكون اثنى عشر شهرا ومن ذلك اعتبروا الأيام الزائدة أعيادا لهم.

يتضح للقارىء أن المغامرة كانت ظاهرة واضحة عند قدماء المصريين وهي في ذلك الوقت تعتبر بحق من أسس النتاج العلمي في مجال الجغرافية.

لقد بذل الإنسان المصري القديم جهدا كبيرا من أجل أن يستقر في الأماكن القابلة للسكن على نهر النيل لذا كان يبتعد كل البعد عن الصحارى القاحلة

لأنهم يهتمون بالمحاصيل الزراعية والحيوانية لأجل غذائهم وتنقلهم من مكان إلى آخر.

اهتم قدماء المصريين اهتماما بالغا بالبحر الأبيض المتوسط لموقعه الاستراتيجي بين ثلاث قارات آسيا وأفريقية وأوروبا كما يمتاز البحر الأبيض المتوسط بكثرة جزره وخلوه من المد والجزر.

توصل الباحثون على المعلومات الجغرافية عن قدماء المصريين عبر الهياكل العظيمة والمصنوعات اليدوية والرسوم على الصخور التي عثر عليها علماء الآثار فجزاهم الله خيرا.